مجلة العلوم الإنسانية العربية
المجلد (٥) العدد (٢)
الإصدار السابع عشر
(١-١٠) ٢٠٢٤

الأثر الإحالي في توجيه المعنى القرآني، سورة التّوحيد أنموذجًا

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

جاسم طالب محمّد
الجّامعة التّقنيّة الوسطى، معهد الإدارة التّقني.

نشر إلكترونياً بتاريخ: ١٥ يوليو ٢٠٢٤م

الملخّص

حقّقت اللسانيّات الحديثة قفزة كبيرة على السّاحة اللغويّة ، فقد لعبت دوراً كبيراً في كشف المعاني النّصيّة ، وإثراء المكتبة العربيّة ، ولاقت موضوعاتها إقبالاً لدى طلبة الدّراسات العليا ، فأصبحت عنوانات رسائلهم ، وأطروحاتهم ، وبحوثهم ، لا تخلو من تلك الموضوعات ، ومن بين هذه العنوانات (الإحالة) ، ولا يخفى لدى الباحثين ، والدّارسين ، والمتتبّعين للشّأن القرآني ، بأنّ للإحالة دورا كبيرا في كشف المعنى عموماً ، والقرآنيّ خصوصاً ، وإبرازه ، وهذا ما نحاول اثباته في البحث ، فضلاً عن كثير من المحاسن الأخرى ، التي سنعرض لها ، والتي على ما يبدو بأنّ للإحالة دورا هاما في تحقّقها ، كربط أجزاء النّصّ الواحد ، أو المتعدّدة ، وجعلها أكثر تماسكاً ، وسيعتمد البحث على تناول الضميرين (المتّصل ، والمنفصل) لا غير .

Abstract

Modern linguistics has made a great leap in the linguistic arena. It has played a major role in revealing textual meanings and enriching the Arabic library. Its topics have been popular with postgraduate students, and have become the titles of their dissertations, dissertations, and research. They are not devoid of those topics, and among these titles is (Reference), and it is no secret to researchers, scholars, and those who follow the Qur'anic affairs, that referral has a major role in revealing and highlighting the meaning in general, and the Qur'an in particular, and this is what we are trying to prove in the research, in addition to many other advantages, which we will present, which seem to be Reference has an important role in achieving it, such as linking parts of a single or multiple text, and making them more coherent. The research will depend on dealing with the two pronouns (connected and separate) only.

*** مفهوم الإحالة (Reference)**

يدور معنى الإحالة لدى اللغويّين على عدّة من المعانِ ، منها : التّغيّر ، والدّوران ، ونقل شيءٍ إلى غيره ، أو تحويله من حالة إلى أخرى ، فقد ذكر ابن فارس (ت٣٩٥هـ) أنّ : ((الحاء والواو واللّام أصل واحد ، وهو تحرّك في دور ، فالحول العام ، وذلك أنّه يحول ، أي يدور)) (١) ، واكّد الزّبيدي (ت١٢٠٥هـ) أنّ : أحال الشّيء، أي : تحوّل من حال إلى حال ، أو أحال الرّجل ، أي : تحوّل من شيء إلى شيء آخر (٢) ، وجاء في الوسيط أنّ : أحالت الدّار : أي تغيّرت ، وأحال الشّيء ، أو الرّجل : تحوّل من حال إلى حال ، وأحال الشّيء نقله ، وحوّل الشّيء : غيّره ونقله من مكان إلى آخر (٣) ، وظاهر هذه النّصوص ، أنّ المعنى وكما لحظنا لا يتعدّى المعاني التي أشار لها البحث ابتداءً ، وهي : (التّحوّل ، والتّغيّر ، والتّنقّل) ، فالمعنى الإحالي اللغويّ في كلّ هذا ، ينتقل من حال إلى حال ، وهو لا يبتعد كثيراً عن معناه لدى النّصيّين ، وهل من الممكن ، أو الجّائز ، تحقّق مثل هذا التّحوّل ، أو التّنقّل ، أو التّغيّر ؟ يبدو للبحث أنّ مثل هذا التّحوّل لا يجوز البتّة ، إلا في ظلّ وجود علاقة قائمة بين طّرفين هما : (المحال والمحال إليه) ، ويبدو للبحث هنا ، أنّ مثل هذه العلاقة ، هي التي سمحت بحصول مثل هذا التّحوّل ، وإلا لكانت القضيّة سالبة بانتفاء الموضوع .

وحدّ النّصّيّون (الغربيّون ، والعرب) الإحالة بتعريفات عدّة ، فقد عرّفها روبرت دي بوجراند بقوله إنّ : ((الإحالة هي العلاقة بين العبارات (objects) ، والأحداث (events) ، والموقف (stuations) ، في العلم الّذي يدلّ عليه بالعبارات ذات الطّابع البدائلي (alternative) في نصّ ما ؛ إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النّصّ)) (٤) ، [١]ويرى خطابي أنّ الإحالة هي : عبارة عن علاقة دلاليّة ، لذا فهي لا تخضع لأيّ قيود نحويّة ، على حين أنّها تخضع للقيد الدّلالي الّذي يعرّفه بأنّه : وجوب تطابق الخصائص الدّلاليّة بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه (٥) ، وهذا قريب لما أورده جون لويتز لدى حدّه للدّلالة بأنّها : ((علاقة الاسماء بالمسميات)) (٦) ، أي بمعنى لزوم المطابقة التّامّة بين المحال والمحال إليه ، فلا يصحّ إحالة الضّمير المفرد المذكر على مؤنّث ، فلا يصحّ قولك : إنّه حضر ، وتريد بها الأنثى ، أمّا الزّنّاد فعرّفها بقوله هي : ((قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلّة ، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب)) (٧) ، من هذه النّصوص نستنتج ، أنّ الإحالة ما هي إلا علاقة دلاليّة بين الاسماء ومسمياتها ، وهي بذلك تكون بعيدة عن تلك القيود النّحويّة .

---

١ / مقاييس اللغة : ٢٧١ مادّة : حول .
٢/ ينظر : تاج العروس : ٣٦٦/٢٨ مادّة : حول .
٣/ معجم الوسيط : ٢٠٨ – ٢٠٩ باب الحاء .
٤/ النّصّ والخطاب والاجراء : ٣٢٠ .
٥/ ينظر : لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٧ .
٦/ ينظر : تحليل الخطاب : براون ويول : ٣٦ .
٧/ نسيج النّصّ : ١١٦ .
٨/ ينظر : الكتاب : ٢٥/١ – ٢٦ .
٩/ ينظر : المصدر نفسه : ٢٥/١ – ٢٦ .
١٠/ ينظر : النّحو والدّلالة مدخل لدراسة المعنى النّحوي الدّلالي : ٨٤.

*** الإحالة في الفكر العربي**

جاء كثيراً ذكر الإحالة في عبارات علمائنا القدامى ، فقد عقد سيبويه (١٨٠هـ) باباً أسمّاه : (باب الاستقامة من الكلام والإحالة) (٨) ، قسّم فيه الكلام على خمسة أنحاء ، أحدها المحال ، وذكر أنّه ما لا يصحّ له معنى ، ولا يجوز وصفه بالصّدق ، ولا بالكذب ؛ كونه ممّن لا معنى له ، نحو قولك : أتيتك غداً ، فهذا كلام لا معنى له ؛ لنفي المعنيين عنه (٩) ، وإلى هذا أشار الدّكتور حماسة إذ ذكر أنّ الكلام المحال ليس ذاك الّذي ورد فيه خطأ نحويّ ، وإنّما يأتيه الوصف بالإحالة من كسر الاختيار في المستوى المنطوق (١٠) ، أمّا الدّكتور محمّد الغباري فقد ذكر أنّ من الإشارات التي تعدّ من الإحالة النّصّيّة عند سيبويه ، تحليله لقول عمر بن أبي ربيعة (١١) الّذي يقول فيه (البسيط) :

اعتاد قلبك من سلمى.. وهاج أهواءك المكنونة الطّلل

ربع قواءٌ أذاع المعصرات به ... وكلّ حيران سار ماءه خضل

يقول سيبويه : كأنّه قال : ذاك ربع ، أو هو ربع (١٢) ، ويؤكّد بعضهم أنّ سيبويه أشار في المقام إلى إحالة اسم الإشارة المحذوف ، أو الضّمير الغائب المحذوف على اسم سابق له ، وهو الطّلل ، وهذا من قبيل الإحالة القبليّة الدّاخليّة ، في الدّراسات النّصّيّة الحديثة (١٣) ، ويذكر الطّبريّ (ت٣١٠هـ) في قوله تعالى : { وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة } (١٤) ، أنّه ليس لأحد إحالة ظاهر خبره إلى باطنٍ بغير برهان دالٍّ على صحّته (١٥) ، كما أنّه ذكر مصطلح الإحالة بشكل صريح في موارد أخرى ، من تفسيره (١٦) ، ولم يقتصر الأمر في ورود هذا المصطلح على هذا المقدار ، فقد ورد ذكره لدى جمهور غفير من العلماء الآخرين ، فهذا على سبيل المثال لا الحصر ابن العربي (ت٥٤٣هـ) يذكر أنّ مصطلح الإحالة يعنى الرجوع إلى جزء سابق في النّصّ (١٧) ، في اشارة إلى الإحالة القبليّة ، في اصطلاح النّصّيين . لذا نلحظ هنا بأنّ تراثنا العربي لم يكن غافلًا عن وجود مثل هذه المعاني، فوجود مثل هذه الإشارات، بهذا الكمّ، وإن كان ما ذكرناه هنا قليلًا قياسًا لما هو وارد فعلًا، يؤكّد حقيقة انتباه، وملاحظة القدماء من علمائنا لمثل هذه المعاني ، وعدم غفلتهم عنها ، وإن لم يصرّحوا بها على النحو الموجود في العصور الحديثة ، في علم اللسانيّات ، فعدم التّصريح لا يمنع من حضورها عندهم .[٢]

*** أنواع الإحالة**

لم يتّفق الباحثون ، والمترجمون ، لدى تقسيمهم الإحالة ، وكذا عند تسميتهم لتلك الأقسام ، ويؤكّد البحث على أنّ أغلب هؤلاء كانوا قد قسّموها من جهة التّقسيم ،

١١/ ينظر : الإحالة النّصّيّة في اختيارات الطّاهر بن عاشور في تفسيره التّحرير والتّنوير : ٢١ .
١٢/ ينظر : الكتاب : ٢٨٢/١ .
١٣/ ينظر : النحو العربي بين نحو الجّملة ونحو النّصّ (بحث : المجلّة الأردنيّة في اللغة العربيّة وآدابها – العدد : ١) : ٢٠٠ .
١٤/ البقرة : ٥١ .
١٥/ ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ١/ ٦٦٧ .

على قسمين لا غير (١٨) ، ومع ذلك نجد أنّ أغلبهم قد اختلفوا في تسمية تلك الأقسام ، وترجمتها ، فقد قسّمها الدّكتور خطابي إلى : مقاميّة ، ونصّيّة (١٩) ، وقسّمها الشاوش إلى : مقاميّة ، ومقاليّة (٢٠) ، إلّا أنّ هناك من قسّمها على أقسام ثلاثة ، فقد قسّمها الزّنّاد على ثلاثة أقسام ، وهي : داخل النّصّ ، أو داخل اللغة ، وخارج النّصّ ، أو خارج اللغة ، ونصّيّة (٢١) ، وقسّمها الفقي كذلك إلى أقسام ثلاثة ، عبّر عنها بالمستويات الثّلاثة ، فكانت : مستوى داخلي ، ومستوى خارجي ، ومستوى نصّي (٢٢) .

ويرى البحث أنّ التّقسيم الثنائي على ما يبدو هو الأقرب للصّواب ، لا لأنّ ذلك مذهب أغلب الدّارسين ، والباحثين ، بل لأنّه الأقرب إلى الحصر العقليّ ؛ فالعناصر المعجميّة إمّا أن تكون مذكورة في النّصّ فعلًا ، وتسمى حينئذ داخليّة ، أو مقاليّة ، أو لا تكون مذكورة ، أو داخلة في النّصّ ، فهي خارجيّة ، أو مقاميّة .

*** الإحالة الخارجيّة أو المقاميّة (exopheric reference)**

هي التي تقوم بتوجيه المخاطب إلى شيء خارج النّصّ، من انسان، أو غيره، ولها دور كبير في صناعة النّص؛ كونها تقوم بربط اللغة بسياق المقام (٢٣) ، ومن أمثلتها القرآنيّة ، قوله تعالى : { قَالَ بلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُم هَذَا فَسْأَلُهم إنْ كَانُوا يَنطِقُونَ } (٢٤) ، فالإحالة هنا جاءت خارجيّة وقد تمّت بواسطة اسم الإشارة (هذا) ، الذي أُحيل على كبير الأصنام ، ويبدو أنّ هذا النّوع من الإحالة لا يزيد من تماسك النّص ؛ كونه بعيد عن ربط عناصر النّصّ (٢٥) . من هنا لم يرى الباحث بدًّا من الخوض به، سوى الإشارة له على نحو الإجمال.

*** الإحالة الدّاخليّة أو المقاليّة (Endophora)**

وتنقسم هذه على قسمين:-[٣]

*** الأوّل: إحالة قبليّة، أو سابقة (Anaphora)**

وهنا يكون العنصر الإشاري سابقاً للعنصر الإحالي، وهي كما يرى الزّنّاد: ((تعود على مفسّر (Antecedent) سبق التّلفظ به)) (٢٦) ، ويعرّفها الفقي بأنّها : ((استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة في النّصّ أو المحادثة)) (٢٧) .

*** الآخر: إحالة بعديّة، أو لاحقة (Cataphora)**

وهي: ((إحالة على اللاحق الذي لم يذكر بعد، فإنّما هي مثيرة لذهن المتلقّي حيث يوجد لفظ كنائي و لم يسبق مرجعه)) (٢٨).

لا يخفى لدى المعنيين بالشّأن النّصّي أنّ العنصر الإحالي داخل النّصّ إما أن يعود على سابقاً له بالذّكر ، أو لاحق عليه ، فإن عاد على سابق سُمّيت الإحالة قبليّة ، وإلا فهي بعديّة ، وسيأتي تفصيل ذلك عند الحديث عن وسائل الاتّساق الإحاليّة، وما يهمّ البح في المقام أنّ كلا القسمين يحقّ

---

٣ / ينظر : المصدر نفسه : ٦/ ٦٧٨ – ٦٧٩ .

١٧/ ينظر : أحكام القرآن : ٣/ ٣٤٣ .

١٨/ ينظر : لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٧ ، وأصول تحليل الخطاب : ١٢٥/١ ، وعلم اللغة النّصّي بين النّظريّة والتّطبيق : ٤٠/١ – ٤١ .

داخل النّصّ نوعًا من التّرابط بين عناصر النّصّ ، وبالتّالي تحقيق الاتّساق النّصّي للنّصّ الحاصل بسبب هذا التّرابط .

*** الوسائل الإحاليّة**

اختلف الباحثون، والدّارسون في عدد هذه الوسائل، ويظهر أنّ هناك تفاوتاً واضحاً بينهم في ذلك، فمنهم من عدّها ثلاث لا غير، وهي (الضّمائر، واسماء الإشارة، وأدوات المقارنة) (٢٩)، ومنهم من زاد على ذلك، فقد أضاف عفيفي قسماً آخراً هو (الاسماء الموصولة) (٣٠)، وأضافت شبل (العناصر المعجميّة) (٣١)، وبالمحصّلة فأنّ وجود أيّ عنصر من هذه العناصر المتقدّمة بأجمعها، كفيل بتحقّق الاتّساق النّصّي في أيّ نصّ وجد، وسيتناول البحث من هذه الوسائل الخمسة، الضّمائر لا غير.

*** الضّمائر**

إنّ ابرز ما يُميّز الضّمائر في الدّراسات النّصيّة ، هي تلك النتائج التي تؤدّيها ، أو تقوم بها هذه الضّمائر داخل النّصّ من وظيفة اتّساقيّة ؛ عن طريق ربط الجّمل فيما بينها ، وضمّ بعضها إلى بعض ، لتحقّق بذلك للنّصّ نصّيته ، ووحدته ، ويبدو أنّ هذه الوظيفة دفعت بعلماء النّصّ أن يعتنوا بهذه الضّمائر عناية فائقة ، وكما هو ظاهر في كتبهم ، وبحوثهم ، ويبدو من بعضهم ، أنّ هذه الضّمائر هي العمدة في عمليّة الرّبط داخل النّصّ ، حيث تقوم هذه الأخيرة بربط السّابق باللاحق ، والعكس ، وهذا ما أثبته النّحويّون العرب ، وأنّ الإحالات بهذه الضّمائر هي الأكثر شيوعاً ، وتداولاً ، واستعمالاً ، من باقي الوسائل الأخرى ، كما سيُثبِت البحث ذلك ، ويبدو أنّ التّركيز عليها كونها عناصر يُستغنى بها عن [٤]تكرار الاسماء (٣٢) ، ويظهر أنها اكتسبت أهميّتها عند المشتغلين بالنّصّ ، بوصفها تنوب عن الاسماء ، والأفعال ، والجّمل المتتالية : ((وعادة ما تتعاون في النّصّ الضّمائر مع الاسماء المتكررة وتشكّل معاً شبكة إحاليّة)) (٣٣) ، ويبدو أنّ هذه الضّمائر قد اكتسبت أهميّتها ، ومكانتها ، في كونها تنوب عن الاسماء ، والأفعال ، والعبارات ، والجّمل (٣٤) ، ليس فقط ذلك ، بل تقوم كذلك بربط أجزاء النّصّ المختلفة شكلاً ودلالة ، سابقة ولاحقة ، داخليّاً وخارجيّاً (٣٥) ، ويبدو أنّ وظيفة محلّل النّصّ تبلغ أهميّتها في إعادة الضّمير المحيل إلى مرجعيّته ؛ وذلك لإزالة اللبس عن النّصّ ، وكشف دلالته ، والظّاهر أنّ هذا اللبس ، والإبهام ، يحول دون فهمه

١٩/ ينظر : لسانيّات النّصّ : ١٧ .
٢٠/ ينظر : أصول تحليل الخطاب : ١٢٥/١ .
٢١/ ينظر : نسيج النّصّ : ١١٨ – ١١٩ .
٢٢/ ينظر : علم اللغة النّصّي : ٧٠/١ .
٢٣/ ينظر : لسانيّات النّص : خطابي : ١٨ .
٢٤/ الأنبياء : ٦٣ .
٢٥/ ١٨ . Halliday and Hasan (١٩٧٦) ، p . .
٢٦/ نسيج النّصّ : ١١٨ .
٢٧/ علم اللغة النّصّي : ٤٠/١ .
٤ / ينظر : نحو النّصّ : عفيفي : ١١٨ ، وأصول تحليل الخطاب : الشّاوش : ١٢٦/١ ، ولسانيات النّصّ : خطابي : ١٧ ، وغيرها :
٣٠/ ينظر : نحو النّصّ : عفيفي : ١١٨ .
٣١/ ينظر : علم لغة النّص النّظريّة والتّطبيق : ١٧٦ .
٣٢/ ينظر : قضايا في اللغة واللسانيّات وتحليل الخطاب : ٥٦ – ٦٢ ، والبرهان في علوم القرآن : ٢٩/٤ .

وتحقيق تماسكه (٣٦) ، والحقيقة أنّ رفع اللبس ، والغموض عن أيّ نصّ يسهم بلا شكّ في ترابط وتلاحم أجزائه ، وتحقيق تماسكه واتّساقه ، ولا يخفى لدى المتتبّعين للشأن النّصّي ، أنّ الجّمل في أغلب حالاتها تكون متناثرة بلا رابط يربطها ، فإذا ما ظهرت هذه الوسائل ، سيّما الضّمائر منها ، فتكون جسراً رابطاً أمام هذا التّناثر ، لتحقّق بذلك مستوىً نصّيّاً متّسقاً ومتلاحماً ، من هنا يرى الفقي أنّ : ((الضّمائر مع غيرها من الوسائل تكوّن نسيجاً نصّيّاً عالياً)) (٣٧) ، وممّا تقدّم ينكشف لدى البحث بأنّ قدرة ، وسعة الضّمير تمكن في رجوعه إلى اللفظ تارة ، وإلى المعنى مرّةً اخرى ، ففي قوله تعالى : { ومنهم من يستمع إليك } (٣٨) ، نجد عود الضّمير المستتر على اللفظ ، لذا جاء بصيغة المفرد ليُطابق المرجع ، أمّا في قوله عزّ اسمه : { ومنهم من يستمعون إليك } (٣٩) ، فنجد انّ الضّمير عاد على المعنى لا على اللفظ ؛ لأنّ المقصود في النّص هو الجّمع لا المفرد ، وهذا التّنوع في العود للضّمير يدلّل على القدرة العاليّة التي يتمتّع بها الضّمير ، في الرّبط بين اجزاء النّصّ الواحد ، وإحكامّ اتّساق تركيب تلك الأجزاء ، ويبدو للبحث أنّ أهمّ ما يجعل الضّمير رابطاً رئيسيّاً ضمن المنظومة اللغويّة ، هو قدرته على التّنوّع في العود على اللفظ ، وعلى المعنى ، كما أنّها تقوم على ربط الأحكام الواردة في النّصّ ؛ عن طريق الإحالة التي تؤدّيها هذه الضّمائر ، ويبدو أنّ مسألة الرّبط هذه من المسلّمات ، لذلك نجد أنّ الاتّساق النّصّي يتأسّس بوجود هذه الرّوابط ، والتي تقع هذه الضّمائر في مقدّمتها ، وأكّد بعض النّحويين أنّ الضّمائر هي اسماء مضمرة ، وأنّ اتيانها يأتي بعد ذكر (٤٠) .

*** أثر الضّمائر في النّصّ القرآني**

هناك تقسيمات عدّة وضعها العلماء للضّمير ، فمن جهة الاتّصال والانفصال تنقسم إلى : متّصلة ومنفصلة ، ومن حيث الخفاء والظّهور تنقسم إلى : مخفيّة ، وظاهرة ، أو حاضرة ، للمتكلّم والمخاطَب معاً ، وتنقسم من ناحية الجّنس إلى : مذكّرة ، ومؤنّثة ، ومشتركة بينهما ، نحو : نحن ، فهذا ضمير جاز استعماله للذّكور ، وللإناث ، فهو مشرك في الاستعمال بينهما ، وتنقسم من حيث العدد إلى : مفردة ، ومثناة ، ومجموعة ، من هنا نجدها تؤدّي أغلب أدوار الإحالة من الوسائل الأخرى ، ولذا ارتأى البحث التّفصيل فيها أكثر من اخواتها من وسائل الإحالة الأخرى ، لبيان دورها الكبير في اتّساق النّصّ القرآني ، وتماسك أجزاءه ، وربطها ، وبالتّالي بيان عصمته النّصيّة عن طريق هذه المعايير ، وسنعتمد في تحليل سورة التّوحيد على الضمير البارز المتّصل ، والبارز المنفصل .

*** الضّمير البارز المتّصل**

وممّا ورد ذُكِره منه في سورة التّوحيد، فقوله تعالى: {وَلَمْ يكنْ لَهُ كُفُوًا أحَد} (٤١).

لا يخفى أنّ الضّمير في النّصّ الشريف هنا يعود على لفظ الجّلالة (الله) ، فالمرجع هنا متقدّم عن الضّمير لفظًا °،

٣٣/ علم النّصّ – مدخل إلى بناء مشكلات النّصّ - : ١٢٥ .
٣٤/ ينظر : التّماسك النّصّي في القرآن الكريم : ٥٠ .
٣٥/ ينظر : علم اللغة النّصّي بين النّظريّة والتّطبيق : ١٣٧/١ .
٣٦/ ينظر : الإحالة بالضّمائر ودورها في التّرابط في النّصّ القرآني : ١١٩ .
٣٧/ علم اللغة النّصّي : ١٦٢/١ .
٣٨/ محمّد : ١٦ .

ورتبةً ، ولا يخفى انّ هذه الإحالة مطابقة تماما من حيث التّذكير ، ولمّا كانت مطابقةً ، كان هذا التّطابق مكمّل ، وشرط للرّبط بين كلمات الجّملة الواحدة ، أو الجّمل المتعدّدة (٤٢) ، وقد أدّت هذه الإحالة بلا شكّ إلى تلاحم أجزاء النّصّ ، وتماسكه ، وهذا النتاج التّماسكي الذي تحقّق داخل النّص ، يعود على ما تقوم به الإحالة من دور فعّال داخل النّص ، وجعله أكثر تماسكًا ، وترابطًا بين أجزاءه ، كما لا يخفى أن مجيء الضّمير هنا أغنى عن تكرار لفظ الجّلالة ، وهذا النّوع من الخفاء أدّى وظيفة كبيرة داخل النّص ، ألا وهي وظيفة الرّبط بين السّابق واللاحق من أجزاء النّصّ نفسه.

*** الضّمير البارز المنفصل**

وممّا ورد ذكره منه في سورة التّوحيد، فقوله عزّو جلّ: {قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ} (٤٣).

في الآية الأولى من سورة التّوحيد المباركة ، نجد أنّ ضمير الشّأن (هو) ، قد أحيل على لفظ الجّلالة (الله) أوّلًا ، ثمّ تعدّت هذه الإحالة لتشمل بعض الاسماء الكريمة الأخرى ، وبعض الصّفات الإلهيّة التي ذُكِرت في السّورة نفسها ، وعليه فالضّمير (هو) يكون قد أُحيل في النّصّ إلى أكثر من مُحال إليه ، فقد أحيل على الذّات الإلهيّة أولا ، وأحيل على باقي الصفات الإلهيّة ثانيًا ، فقد أحيل إلى صفة الصّمديّة فقال سبحانه : { الله الصّمد } (٤٤) ، والصّمد هو من لا جوف له ، ولا شريك له ، ولا جوف له ، فقد ذكر الإمام الحسين السّبط للصّمد خمسة معان هي : الصّمد : الّذي لا جوف له ، وهو الّذي انتهى سؤدده ، والّذي لا ينام ، وهو الّذي لم يزل ولا يزال)) (٤٥) ، فعن الإمام زين العابدين (عليه السّلام) أنّه قال : ((الصّمد الّذي لا شريك له والّذي إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون ، والصّمد الّذي أبدع الأشياء [٦]فخلقها أضدادًا وأشكالًا وأزواجًا وتفرّد بالوحدة بلا ضدّ ولا شكل ولا مثل ولا ندٍّ)) (٤٦) ، وهو فعيل بمعنى مفعول ، من صمد إليه ، إذا قصده ، وهو السّيّد الّذي يصمد المقصود إليه في الحوائج ، فهو عبارة عن وجوب الوجود ، والاستغناء المطلق ، واحتياج كلّ شيء في جميع أموره إليه ، أي الّذي يكون عنده ما يحتاج إليه كلّ شيء ، ويكون رفع حاجة الكلّ إليه ، و لم يفقد في ذاته شيئًا ممّا يحتاج إليه الكل ، وإليه يتوجّه كلّ شيء بالعبادة والخضوع ، وهو المستحقّ لذلك (٤٧) ، وعن الإمام الباقر (عليه السّلام) قال : ((الصّمد السّيّد المطاع الّذي ليس فوقه آمر)) (٤٨) ، فهنا إحالات بعديّة متعدّدة ، إلّا أنّ لفظ الجّلالة هو البنية المركزيّة للإحالة في هذا النّص ، ويعدّ الضّمير (هو) أحد أهم وسائل الرّبط في هذا النّص ، ونلحظ هنا أنّ الإحالات الواردة تحقّقت جميعها عن طريق هذا الضّمير ، ممّا اقتضى عدم إعادة اللفظ وتكراره ، ويبدو ذلك ؛ لأنّ المعنى حينها كان مترسخاً لدى المسلمين وثابتًا ، فقد ارتكز في معتقداتهم أنّ الله أحدٌ ، فردٌ ، صمدٌ ، كما ترسّخ لديهم أنّه صمدٌ ، لا جوف له ، ولا ينام ، وأنّه لم يزل ولا يزال ، وأنّه لم يلد ، وأنّه لم يولد ، وأنه ليس له كفؤاً أبدا ، وبالمحصّلة فإنّ هذا التماسك الرّصين داخل النّصّ قد تمّ ، وتحقّق بواسطة هذا الضّمير ، دون سواه .

---

٦ ٣٩/ يونس : ٤٢ .

*** الخلاصة**

خلص البحث إلى بعض النتائج هي:-[٧]

اوّلًا: يؤكّد البحث باختياره الضّمير دون سواه من وسائل الرّبط الأخرى، في تحليل سورة التّوحيد نصيًّا إحاليًا، على أهميّة الضّمير في خلق نصّ أكثر تماسكًا، واتّساقًا؛ لما يعطيه من أثر دلالي واسع، ولما يحقّقه من الاختصار، والإيضاح داخل النّصّ.

ثانيًا: يؤكّد البحث على أهميّة، وأفضليّة الإحالة على سائر الوسائل الاتّساقيّة الأخرى؛ لذلك تمّ اختيارها دون سواها في هذا الطّرح الموجز.

ثالثًا: يؤكّد البحث أنّ أغلب الإحالات البعديّة الواردة في القرآن الكريم، سواء في هذه السّورة، أو في غيرها قد تحقّقت عن طريق ضمير الشأن (هو).

رابعاً: نبّه البحث إلى أنّ بدء السّورة المباركة بضمير، وهو ضمير الشأن المنفصل (هو)، وانتهائها بضمير أيضًا، وهو الضّمير المتّصل (الهاء)، قد خلقا جوًّا من التّماسك النّصّي داحل النّصّ، وهذا التّماسك الحاصل، يعود الفضل في ايجاده لهذين الضميرين، سيّما محلّهما المذكور.

*** المراجع**

الإحالة بالضّمائر ودورها في تحقيق التّرابط في النّصّ القرآني – دراسة وصفيّة تحليليّة – : نائل محمّد إسماعيل ، (بحث) ، مجلّة جامعة الأزهر بغزّة ، سلسلة العلوم الإنسانيّة ٢٠١١م ، المجلّد ١٣ ، العدد ١ (B) .

الإحالة النّصيّة في اختيارات الطّاهر بن عاشور في تفسيره التّحرير والتّنوير : محمّد أحمد محمّد الغباوي ، ط ١ ، نور حوران للدّراسات والنّشر والتّراث – دمشق ، ٢٠٢٠م .

أحكام القرآن: أبو بكر محمّد بن عبد الله المعروف بابن العربي، تح: د. محمّد إبراهيم الحفناوي ، د ط ، دار الحديث – القاهرة ، ١٤٣٢ه – ٢٠١١م .

أصول تحليل الخطاب في النّظريّة العربيّة – تأسيس نحو النّصّ – : محمّد الشّاوش ، ط ١ ، جامعة منوبة – كليّة الآداب بمنوبة ، ٢٠٠١م .

البرهان في علوم القرآن : بدر الدّين محمّد بن عبد الله الزّركشي (ت٧٤٥ه) ، تح : محمّد أبو الفضل إبراهيم ، د ط ، المكتبة العصريّة – صيدا – بيروت ، ١٤٣٣ه – ١٩٩٢م .

[٧] / نحو النّصّ : عفيفي : ٤٢ .
٤٠/ ينظر : المقتضب : ١٧ .
٤١/ التّوحيد : ٤ .
٤٢/ ينظر : التّماسك النّصّي في القرآن الكريم : ٧٥ – ٧٦ .
٤٣/ التّوحيد : ١ .
٤٤/ التّوحيد : ٢ .
٤٥/ ينظر : بحار الأنوار : ٢٢٣/٣ .
٤٦/ نور الثّقلين : ٧١١/٥ .
٤٧/ ينظر : مرآة العقول : ٩١ .
٤٨/ نور الثّقلين : ٧١١/٥ .[٧]

تاج العروس من جواهر القاموس : محمود بن مرتضى بن محمّد الحسيني الزّبيدي ، تح : عبد المنعم جليل إبراهيم ، والأستاذ كريم سيّد محمود محمّد ، ط ١ ، دار الكتب العلميّة – بيروت ، ١٤٢٨ه – ٢٠٠٧م .

تحليل الخطاب : براون ويول ، تر : محمّد لطفي الزّليطي ، ومنير التّركي ، د ط ، جامعة الملك سعود – الرّياض ، ١٤١٨ه – ١٩٩٧م .

التّماسك النّصّي في القرآن الكريم – دراسة نصّيّة تطبيقيّة في سور الحواميم – : د . فائزة الموسوي ، ط ١ ، دار النّابغة للنّشر والتّوزيع ، ١٤٤١ه – ٢٠٢٠م .

جامع البيان في تأويل آي القرآن (تفسير الطّبري) : ابو جعفر محمّد بن جرير الطّبري ، ط ٥ ، دار الكتب العلميّة – بيروت – لبنان ، ٢٠٠٩م .

علم اللغة النّصّي بين النّظريّة والتّطبيق – دراسة تطبيقيّة على السّور المكيّة – : د . صبحي إبراهيم الفقّي ، ط ١ ، دار قباء للطّباعة والنّشر والتّوزيع ، ١٤٣١ه – ٢٠٠٠ .

الكتاب : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه ، تح : د . عبد السّلام محمّد هارون ، ط ١ ، دار الجّيل – بيروت – لبنان ، د ت .

١معجم مقاييس اللغة : أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، اعتنى به : محمود عوض مرعب ، والآنسة فاطمة محمّد أصلان ، د ط ، دار احياء التّراث العربي للطّباعة والنّشر والتّوزيع – بيروت ، ١٤٢٩ه – ٢٠٠٨م .

المعجم الوسيط : إبراهيم أنيس ، وعبد الحليم منتصر ، وعطيّة الصّوالحي ، ومحمّد خلف الله أحمد ، ط ٤ ، مجمّع اللغة العربيّة – مكتبة الشّروق الدّوليّة ، ٢٠٠٤م .

المقتضب في اللغة : أبو العباس محمّد بن يزيد المبرد ، تح : محمّد عبد الخالق عظيمة ، ط ١ ، وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشِئون الإسلاميّة – لجنة إحياء التّراث الإسلامي – القاهرة ن ١٤١٥ه – ١٩٩٤م .

لسانيّات النّصّ – مدخل إلى انسجام الخطاب – : محمّد خطابي ، ط ٢ ، المركز الثّقافي العربي – الدّار البيضاء – المغرب ، ٢٠٠٦م .

النّصّ والخطاب والاجراء : روبرت دي بو جراند ، تر : د . تمّام حسّان ، ط ٢ ، عالم الكتب القاهرة ، ١٤٢٨ه – ٢٠٠٧م .

نسيج النّصّ (بحث : في ما يكون به الملفوظ نصّاً) : الأزهر الزّنّاد ، ط ١ ، المركز الثّقافي العربي – بيروت ، ١٩٩٣ م .

نحو النّصّ اتّجاه جديد في الدّرس النّحوي : د . أحمد عفيفي ، ط ١ ، مكتبة زهراء الشّرق – القاهرة ، ٢٠٠١م.

النّحو والدّلالة – مدخل لدراسة المعنى النّحوي الدّلالي – : د . محمّد حماسة عبد اللطيف ، ط ١ ، دار الشّروق – مصر ، ١٤٢٠ه – ٢٠٠٠م .

قضايا في اللغة واللسانيّات وتحليل الخطاب : محمّد محمّد يونس علس ، ط ١ ، دار الكتاب الجديد ، ٢٠١٣م .

مرآة العقول في شرح أخبار آل الرّسول : العلّامة محمّد باقر المجلسي (ت١١١١هـ) ، نش : دار احياء الكتب الإسلاميّة.

بحار الأنوار الجّامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار : العلّامة محمد باقر المجلسي ، دار احياء الكتب الإسلاميّة .

نور الثّقلين : العلّامة الشّيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (ت١١١٢هـ) ، تح : السّيّد هاشم الرّسولي المحلاتي ، ط١ ، دار التّفسير – قم المقدّسة – ١٣٨٢هـ ش – ١٤٢٤ هـ ق .